سَمَاحَةُ الإِسْلَامِ ، للشيخ/ كمال المهدي

بتاريخ 6 ربيع الأول 1447هـ ، الموافق 29 أغسطس 2025م.

العناصر :-

١- حاجتنا للتخلق بخلق السماحة ..

٢- فضائل السماحة..

٣- صور السماحة في حياتنا .

الحمدُ لله الذي تكرَّم على العالمين بدينِ الإسلام، وجعل السماحةَ فيه منهجًا للأنام، ويسر شرائعَه وبيَّن الأحكام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شرفنا بهذا الدينِ، وأمرنا باتباعِ هديه المبين، وأعزَّ مَنْ آمن وعمل صالحًا وكان من المتقين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين فصلوات الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :- أحبتي في الله :-

ما أحوجنا في هذه الأيام إلى أن نتكلم عن خلق عظيم من أخلاق الإسلام.. خلق بسببه تنشر المودة والمحبة بين أفراد الأمة وتجعل منهم أمة متماسكة مترابطة يحنو الكبير على الصغير، والقوي على الضعيف، والغني على الفقير، تُرَى أي خلق هذا؟ **إنه** ((**خلق السماحة**)) ... **وما أدراك ما السماحة!!**

السماحة أحبتي في الله هي طيب في النفس، وانشراح في الصدر، ولين في الجانب، وبشاشة في الوجه، وصدق في التعامل، ورحمة بجميع خلق الله تعالى.

بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلها بأن دعا لمن تخلق بها بالرحمة. روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(رحِم الله رجلًا سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى).**

وروى الترمذي، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(غَفر الله لرجل كان قبلكم كان سهلًا إذا باع سهلًا إذا اشترى سهلا إذا اقتضى).**

فأين الذي يبحث عن رحمة الله تعالى؟ أين الذي يريد أن ينال دعاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم-: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا..."؟ أين الذي يريد مغفرة الله؟

أين من يريد أن يعتق نفسه من النار؟ أين من يريد أن يحرِّم الله جسده على النار؟

إن كنت أخي الحبيب تريد ذلك، فلتكن هيِّناً ليِّناً في بيعك وشرائك وقضائك واقتضائك. في كل أحوالك.. نعم.. عليك بالسماحة في كل شئون حياتك.

فكن سمحاً إذا عاملت أو دعوت، سمحاً إذا حاورت أو رافقت، سمحاً إذا ظُلمت أو جُهل عليك، سمحا إذا بعت أو اشتريت، فرسالتنا حنيفية سمحة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"بُعِثْتُ بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ"**(رواه الإمام أحمد والطبراني).

ورحم الله الشافعي حينما قال: وكُن رجلًا على الأهواء جلدًا * وشيمتك السماحة والوفاءُ

وإن كثرت عيوبك في البرايا * وسرك أن يكون لها غطاءُ
تستَّر بالسخاء فكل عيبٍ * يغطيه كما قيل السخاءُ
ولا ترجو السماحة من بخيلٍ * فما في النار للظمآن ماءُ

وتعالوا بنا أحبتي في الله: - لنرى بعضا من صور السماحة في حياتنا: -

* * أولا: - (السماحة مع من أساء إليك):

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسوة الحسنة. فقد أوذي صلى الله عليه من قومه شدة الإيذاء ومع ذلك كان سمحا معهم يدعوا لهم بالهداية.

ولقد اقتدى الصحابة رضوان الله عليهم برسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، كان ينفق على رجل فقير من قرابته يدعى مسطح بن اثاثة ، فلما وقعت حادثة الإفك، كان هذا الرجل ممن خاض في عرض ابنة الصديق رضي الله عنها، وتكلم بالظلم والخطأ، فلما برأها الله من فوق سبع سماوات، وإذا بصديق الأمة يعيد عليه صدقته ونفقته، أيُّ سماحة هذه وقد فعل ما فعل، أتدري لماذا؟، لأن الله قال له: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [النور: ٢٢]، حتى لو كنتَ قد أحسنتَ له بهذا الإحسان، وهو أساء إليك بهذه الإساءة، سامح، لعل الله أن يغفر لك ما هو أكبر من هذا وأعظم، وقد يوسوس لك الشيطان يقول لك إنك لو تسامحت وصفك الناس بالعجز ، وظنوا فيك الضعف ، فيا أخي الحبيب لأَنَ تُؤْثِرَ أن يقال فيك ما يقال خير لك من الوقوع في الفجور ، بحيث يخشى الناس شرّك .

** ومن صور السماحة :- ((إنظار المعسر)) :

إن إنظار المعسر، أو التجاوز عن القرض أو عن جزء منه ، صورة عظمية من صور الكرم وسماحة النفس ، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كان تاجر يداين الناس ، فإذا رأى معسرًا قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه)**(رواه البخاري) .

بل إن توفيق الدنيا والآخرة مرهون بتيسيرك على أخيك المعسر: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من يسّر على معسرٍ يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة)(رواه مسلم) .

وروى الإمام مسلم عن عبد الله بن أبي قتادة, أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ, فَتَوَارَى عَنْهُ, ثُمَّ وَجَدَهُ. فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ. فَقَالَ: آللهِ؟ قَالَ: اللهِ! قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله

عليه وعلى آله وصحبه وسلم- يَقُولُ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ) .

وفي رواية عَنْ أبي مسْعُودٍ البدْرِيّ رضي الله عنه قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: (حُوسب رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قبلكم فَلَمْ يُوجدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِشَيَّءٌ، إلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاس، وَكَانَ مُوسِراً، وَكَانَ يأْمُرُغِلْمَانَه أن يَتَجَاوَزُوا عن المُعْسِر. قال اللَّه عزوجل: نَحْنُ أحقُّ بِذَلكَ مِنْهُ، تَجاوَزُوا عَنْهُ) (رواه مسلم) فالجزاء من جنس العمل.

يكفي من يتجاوز عن المعسر أنه يستظل بظلِّ عرش الله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مَن نفَّس عن غريمِه أو محا عنه، كان في ظلِّ العرش يوم القيامة).

** ومن صور السماحة : ((التنازل عن الحق)) :

فصاحب السماحة لا تطيب نفسه بأن يحصّل حقاً لم تطب به نفس الطرف الآخر، فيؤثر التنازل أو السماحة، إن كان الحق له، وهذا ما كان من عثمان رضي الله عنه حين اشترى من رجل أرضاً، فتأخر صاحب الأرض في القدوم عليه لقبض الثمن، وتبين له أن سبب تأخره أنه بعد أن تم العقد شعر البائع أنه مغبون ، وكان الناس يلومونه كيف تبيعها بهذا الثمن ؟ قال عثمان : " فاختر بين أرضك ومالك " ثم ذكر له الحديث : (أدخل الله عز وجل الجنة رجلاً ، كان سهلاً مشترياً وبائعاً ، وقاضياً ومقتضيًا)(رواه أحمد) .

** ومن صور السماحة :- ((رفع الحرج عن الناس))

فصاحب السماحة لا يحرص على إيقاع الناس في الحرج، ولا يشغله التفكير بما له عن التفكير بما عليه من سماحة مع إخوانه وتقدير لظروفهم، ففي الحديث الصحيح: (أن الصحابي أبا اليسر رضي الله عنه كان له على رجل قرض، فلما ذهب لاستيفاء حقه اختبأ الغريم في داره؛ لئلا يلقى أبا اليسر، وهو لا يملك السداد، فلما علم أبو اليسر أن صاحبه

يتخفى منه حياء لعدم تمكنه من أداء ما عليه، أتى بصحيفة القرض فمحاها، وقال: إن وجدت قضاء فاقض، وإلا فأنت في حلّ "(رواه مسلم). وبسماحته تلك أخرج أخاه من الحرج الشديد. فاين نحن من هؤلاء؟ فتشبهوا بالرجال وإن لم تكونوا مثلهم * إن التشبه بالرجال فلاح..

** ومن صور السماحة :((السماحة عند النقاش بترك الجدال)).

فإنه مما يتنافى مع روح السماحة أن يقع الإخوة في جدالات تافهة لأمور سياسية، أو قضايا فكرية، أو توقعات غيبية، ثم تجدهم ينفضّون متباغضين، وما كانت البداية إلا روح الجدل فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه قال **(وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل).**

ولحث المسلمين على السماحة في الحوار، والتنازل عند الاختلاف، وعدم الوقوع في مغبة الجدل، تعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيت في الجنة لمن تنازل فقال في الحديث الذي رواه عنه الصحابي الجليل أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه: **(أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا)** (رواه أبي داود). ولا يمكن أن يكون سماحة وتنازلاً إلاَّ حين يكون محقًا، وإنه لعسير، وإن أجره لكبير..

فحين تجد امرءًا سهلاً ميسرًا ، يتنازل عن حظ نفسه أو جزء من حقه ، ليحلّ مشكلة هو طرف فيها ، أو ليطوي صفحة طال الحديث فيها ، أو ليتألف قلبًا يدعوه ، أو ليستطيب نفس أخيه ، وهو قبل ذلك لا يتعدى على حق أخيه، ولا يلحف في المطالبة بحقوقه ، فذلك هو الرجل السمح ، وتلك هي السماحة.

** ومن صور السماحة ((السماحة في البيع والشراء)):-

ومقتضى السماحة في البيع أن يتجنَّب التطفيف في الكيل والمِيزان، وأن يوفِّيَ صاحب الحقِّ حقَّه بالعدل، بل يرجِّح له فيما يستحقه، ويرضى بقليل الرِّبح.. كما أمر الله تعالى

بقوله: (وَأَوْفُوا **الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ**) [الأنعام: ١٥٢]، وقد حذَّر الله تعالى من إنقاص المكيال والميزان، وبَخْسِ الناس حقوقَهم ولو كان شيئًا يسيرًا، فقال تعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) [المطففين: ١-٣]، وعندما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزَّانًا يَزِنُ، قال له: (زِنْ وأَرجِحْ).

* أحبتي في الله : ينبغي على كل منا أثناء التعامل التجاري أن يستحضر الآخرة؛ لأن استحضار الآخرة يجعله سمحاً في التعامل بيعاً وشراء وقضاءً, لأن الدنيا مهما زُيِّنت في العين فهي فانية, أما الآخرة فهي الباقية, فالمؤمن من تعلَّق قلبه بدار البقاء لا بدار الفناء, وتعامل مع أبناء جنسه في دار الفناء بخلق التسامح.

* وإنه لمن المؤسف أننا نرى بعضا من الناس أصبحوا بعيدين عن هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقد أصبح همُّ الواحد منهم الدينار والدرهم، فلا تراه هيِّناً ليِّناً في بيعه وشرائه، بل ولا ترى منه شفقة ولا رحمة أثناء التعامل التجاري. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

وفي الختام :- أقول لكم :

لم تكن تعاليم الإسلام عبارات أو شعارات فحسب بل كانت ترجمة حرفية وفورية، أخلاق تمشي على الأرض تراها في الأسواق والمواصلات والمعاملات. فعلينا ان نتخلق بأخلاق الإسلام لنحشر مع سيد الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو القائل

في الحديث الذي رواه الصحابي الجليل جابر رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن من أحبِّكم إليَّ، وأقربِكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنَكم أخلاقاً**)

أسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول يتبعون أحسنه وأن يرزقنا السماحة في جميع شئون حياتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه ...

كتبه : الشيخ /كمال السيد محمود محمد المهدي إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية